

الاذاعة .. عالم الجميع

فى منتصف الستينات دخل على اجتماع لجنة النصوص بدار الأذاعة والتلفزيون شاب يطلب مقابلة الشاعر ابراهيم العبادى عضو اللجنة للسلام عليه وقال أنت ظل من الصباح امام مبنى الأذاعة . قال له الشاعر الراحل محمد المهدي المجذوب (أنت من وين) قال له أنا من قرية صغيرة نائية من قرى الجزيرة (وعرفتة كيف ؟) قال له (من الأذاعة فى برنامج (حقيبة الفن) والذى يقدمه الاستاذ الراحل المبارك ابراهيم .. والتفت المجذوب الى أعضاء اللجنة قائلاً هذا الجهاز خطير .. ورفع جهاز الترانزستور الذى أمامه قائلاً هذا سيحدث ثورة ثقافية كبرى لو اهتمت به الدولة ..

وسافرت للبعثة الدراسية فى لندن عام 1970م وانقطعت عن الأذاعة تماما .. فنصحنى الصديق إبراهيم شببكة المستشار الثقافى بالسفارة السودانية آنذاك أن أذهب الى شارع (بيزوتر) فى وسط لندن وشراء جهاز راديو روسى الصنع ذى 16 موجة يلتقط اذاعة (أم درمان) .. فاسرعت لشراء الجهاز وقضينا ليلة تاريخية فى أمسية غنائية أولها أغنية (زهرة الروض الظليل) لاسطورة الطرب الأصيل الفنان عبد العزيز محمد داؤد .. وعندما رجعت من البعثة وفى حفل زفاف ابنى الاكبر غنى أحد فنانى الشباب هذه الأغنية فعادنى عشرين سنة الى لندن وتذكرت قولته المجذوب مرة أخرى عندما سافرت الى الخليج واندلعت (ثورة الخمينى) فى عام 1979م وكان يطلق عليها (ثورة الكاسيت) حيث كان اتباع الإمام الخمينى يتلقون تعاليمه (بالجهاز الخطير) فى الجبال والوديان فأصبح أحد أسلحة تفجير الثورة الايرانية ..

ولكن رغم هذه الاحداث المتلاحقة التى تؤكد أهمية المذيع فقد جرفته المد الاعلامى فى البث الفضائى الذى غمر سماوات العالم .. بالقنوات الفضائية والتى جمعت الكلمة والصوت والصورة فى حزمة ضوء الكترونية نثرتها فى الكرة الأرضية مع سرعة خطى العصر الذى التهم وقت الانسان فى رحلة الحياة اليومية واختزل الساعات الى ثوانى مساحة التقاط الأنفاس فى ماراثون السباق اليومى فى حلبة الصراع حتى انقطعنا فيه تماما عن المذيع ..

وفى زيارتى الأخيرة للسودان .. وبعد مشاركتى فى عدة ندوات اذاعية .. وقد تعددت قنوات الارسال الخاصة بصورة شكلت اضافة جديدة ونافذة فريدة للاطلاع على العالم فى الجهات الأربع .. وقد تانعت فى (أربعينية الراحل عثمان حسين) فى اذاعة البيت السودانى وهى تقدم برنامجا كاملا على مدار اليوم كان بمثابة فيلم وثائقى .. وأرشيف تاريخى .. وسجل حافل للسيرة الذاتية فى كتاب مفتوح طوال فترة الارسال يسهل قراءة صفحاته فى حالة استماع مشبعة بالراحة النفسية اكثر من ملاحقة الفضائيات فى الاعداد والتقديم والاخراج .. بصورة تؤكد ان الجزء ليس مجموعة الأجزاء .. وان كل جزء فى ديناميكية الاعلام المقروء والمرئى والمسموع له خصوصيته .. وله دوره المكمل فى هذه الآلة الاعلامية الضخمة .. وله أهميته المتميزة فى تروس الماكينية الكبيرة التى تدير سفينة الاعلام فى محيط المعلومات المتلاطم الأمواج .. واذا كانت وسائل النقل هى البر والبحر والجو وان وسائل الاعلام هى المرئى والمسموع والمقروء ولا يمكن لأحدهم أن يلغى دور الآخر بل يتكامل معه ولا يمكن أن يسيطر عليه قبل أن يتأثر به ولا يمكن أن يتصدر مسيرته الا إذا استعجب معه قدراته الخاصة على شد المستمع الى هذا (الجهاز الخطير) ...

وهذا الذى جعل الاعلام الحديث صناعة معرفة .. وسلطة قرار خاصة فى العالم النامى والذى يحتاج الى نشر المعرفة .. ووصول الحقيقة الى كل شرائح المجتمع بأبسط الوسائل .. وأقل التكاليف .. لتعزيز الوحدة وتمكين السلام وفك طلاسم (العولمة) و (حوار الحضارات) و(الشرعية الدولية) وبقايا أعراض الطاعون الحديث .. وصدق القائل : الاذاعة .. عالم الجميع.